

أضواء البيان

@ 64 المعنى : لو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة ، وبعثنا في كل قرية نذيراً يتولّى مشقة إنذارها عنك ، أي : ولكننا اصطفيناك ، وخصّصناك بعموم الرسالة لجميع الناس تعظيماً لشأنك ، ورفعاً من منزلتك ، فقابل ذلك بالاجتهاد والتشدد التام في إبلاغ الرسالة ، و { لَا تُطِيعُهُ * الْكَافِرِينَ } . . .

وما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من اصطفائه صلى الله عليه وسلم بالرسالة لجميع الناس ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ لِّلَّهِ إِلَّيْكُمْ جَمِيعًا } ، وقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } ، وقوله : { وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } ، وقوله : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } . . .

وقد قدّمنا إيضاح هذا في أوّل هذه السورة الكريمة ، في الكلام على قوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَيَّ عَبْدِهِ لِيُكَفِّرَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } ، وقوله : { فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ } ، ذكره أيضاً في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : { وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ } ، وقوله : { وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمْ عَائِمًا أَوْ كَفُورًا } ، وقوله تعالى : { وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } ، وقوله تعالى : { وَلَا تُطِيعُ كُفْرًا وَلَا فِئَةً مِّنْهُم } . . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ } ، أي : بالقرآن ، كما روي عن ابن عباس . . .

والجهد الكبير المذكور في هذه الآية هو المصحوب بالغلظة عليهم ؛ كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلَظَةً } ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } ، وقوله تعالى : { فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ } ، من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يطيع الكافرين ، ولكنه يأمر وينهى ليشرع لأُمَّته على لسانه ، كما أوضحناه في سورة (بني إسرائيل) . { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْفِجْرَيْنِ هَٰذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مَلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَنَّا بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا } . . .

